## ٦ ـ الأحاديث في صفة النبي ﷺ

أخرج يعقوب بن سفيان الفَسَوي الحافظ عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما قال: «سألتُ خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصّافاً ـ عن حِلْية رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئاً أتعلّق به فقال:

«كانَ رسولُ الله ﷺ فَخماً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهه تلألؤَ القمر ليلةَ البَدْرِ، أطولَ من المَرْبُوع[١]، وأقْصَرَ من المشذَّب[٢]، عظيمَ الهامة[٣]، رَجِلَ[٤] الشعر إن انفرقت عقيقته[٥] فَرَقَ، وإلاّ فلا، يجاوز شَعْرُهُ شَحْمَةَ أذنيه، (إذا هو وَفَّرَه)[٦]، أزْهَرَ اللّوْنِ، واسِعَ الجبينِ، أزجَّ الحواجب[٧]، سوابغ في غير قَرَن بينهما عِرْق يَدِرُّه[٨] الغضب، أقنى[٩] العِرْنين[١٠] له نُورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشَمَّ[١١]، كَثَّ اللّحيةِ[١٢]، أدْعَجَ[١٣]. سَهْلَ الخدَّين، ضليعَ الفم[١٤]، أشنبَ[١٥] مُفَلَّجَ[١٦] الأسنان، دَقيقَ المَسْربة[١٧]. كأنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ[١٨] في صفاء الفضة معتدلَ الخَلْقِ، بادناً متماسكاً[١٩]. سَوَاء البطن والصَّدر، عَرِيض

---

(١) المربوع: ما بين الطويل والقصير على حد سواء.

(٢) المشذَّب: الطويل البائن الطول مع نقص لحمه.

(٣) الهامة: الرأس.

(٤) رَجِل: بكسر الجيم وسكونها أي كان بين الجعودة والسبوطة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ما فيه تكسّر قليل.

(٥) في الأصل (إذا تفرقت عقيصته) والتصويب من «شمائل الترمذي» وهي رواية الفسوي وأما الأخرى فهي رواية الشيخين كما صرّح به البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٨٦) و«عقيقته» شعر رأسه.

(٦) في الأصل (ذا وفرة) والتصويب من «الشمائل» أيضاً والوفرة هو شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٧) الزجج: تقوس الحاجبين مع طول، كما في «القاموس»، أو دقة الحاجبين مع سبوغهما، كما في «الفائق».

(٨) يدرّه: من الإدرار، أي يجعله الغضب ممتلئاً دماً.

(٩) القنا: طول الأنف ودقة أرنبته وحدب في وسطه.

(١٠) العرنين: ما صلب من الأنف، أو كله، أو ما تحت مجتمع الحاجبين وهو أوله حيث يكون الشمم، وجمعه عرانين.

(١١) الشمم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه.

(١٢) كث اللحية: أي غليظها.

(١٣) أدعج: أي شديد سواد العين.

(١٤) رجل ضليع الفم: عظيمه وواسعه، والعرب تحمد سَعَة الفم وتذم صغره.

(١٥) الشنب: رقة الأسنان وماؤها، وقيل رونقها.

(١٦) الفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنايا.

(١٧) المسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة والسرّة.

(١٨) الدمية: الصورة المنقوشة من نحو الرخام أو العاج.

(١٩) بادناً متماسكاً: أي ضخم يمسك بعض أعضائه بعضاً فهو معتدل الخلق.

الصدر، بعيد ما بين المنكبين. ضَخم الكراديس[١]. أنور المتجرَّد[٢] مَوصول ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشعرٍ يجري كالخطِّ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعَر الذِّراعين والمنكبين وأعالي الصدر. طويل الزَّندين، رَحْب الرَّاحة، سَبْط القصب[٣] شَثْن[٤] الكفَّين والقدمين (سائل)[٥] الأطراف. خُمْصان الأخْمَصَين[٦]. مسيح[٧] القَدَمين، ينبو عنهما الماءُ، إذا زال زال قَلعاً[٨]، يخطو تكَفُّواً[٩] وَيَمشِي هَوناً، ذَرِيع[١٠] المِشْيةِ إذا مشى كأنما يَنحَطُّ من صَبَبٍ[١١]. وإذا التفتَ التفتَ جميعاً، خافِض الطرف، نَظَرُه إلى الأرض أطْوَلُ من نظره إلى السماء جُلُّ نَظَرِهِ الملاحظةُ، يَسُوقُ أصحابه[١٢]، ويَبْدَأُ مَن لَقِيَهُ بالسَّلام».

قلت: صِفْ لي منطقه، قال: «كانَ رسولُ الله ﷺ مُتَواصِلَ الأحزانِ، دائمَ الفكرةِ. ليست له راحةٌ. لا يتكلَّم في غيرِ حاجة طَويلَ السكوتِ يَفْتَتِحُ الكلام وَيختمُه بأشداقِه[١٣]. يتكلَّم بجوامع الكَلِم. كلامُهُ فَصْلٌ[١٤] لا فضولَ ولا تقصيرَ[١٥]، دَمِث[١٦]. ليس بالجافي ولا المهين، يعظِّمُ النِّعمة وإن دَقَّتْ، لا يَذُمُّ منها شيئاً ولا يمدحُه، ولا يقوم لغضبه ـ إذا تُعرِّض للحقِّ ـ شيءٌ حتى ينتصرَ له ـ وفي رواية ـ لا تُغْضِبُه الدُّنيا وما كانَ لها، فإذا تَعَرَّضَ للحقِّ لم يعرفه أحدٌ ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له. لا يَغْضَبُ لنفسه ولا ينتصرُ لها، إذا أشار أشار بكفِّه كُلِّها، وإذا تعجَّبَ قَلَبَها، وإذا تَحَدَّثَ يَصِلُ بها يَضْرِبُ براحتِهِ اليمنى

---

(١) الكراديس: أي رؤوس العظام.

(٢) أنور المتجرد: أي أن الأعضاء التي تجردت عن الشعر فيها نور والمراد أنه مشرق الجسد: مضيئه.

(٣) سبط القصب: أي مستقيم العظام ذوات المخّ.

(٤) شثن الكفّين: أي غليظ الأصابع والراحة.

(٥) في الأصل (سابل) والتصويب من «شمائل الترمذي» والمعنى ممتد الأصابع من غير إفراط.

(٦) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخُمصان: المبالغ فيه، أي أن ذلك شديد التجافي عن الأرض.

(٧) مسيح القدمين: أي أملسهما ليس فيهما تكسّر ولا شقاق.

(٨) قلعاً: أي رفع رجله عن الأرض رفعاً باتاً بقوة لا كَمَنْ يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تبختراً.

(٩) يخطو تكفؤاً: يتجه إلى الأمام.

(١٠) ذريع المشي: أي سريع المشي.

(١١) صبب: أي موضع منحدر.

(١٢) يسوق أصحابه: يمشي خلفهم.

(١٣) الأشداق: جمع شدق أي جوانب الفم.

(١٤) كلامه فصل: أي فاصل بين الحق والباطل لا هزل فيه.

(١٥) لا فضول ولا تقصير: لا يزيد عن الحاجة ولا يقصر عنها.

(١٦) دمث: أراد به أنه كان لين الخلق في سهولة، وأصله من الدمث وهو الأرض السهلة الرخوة.

باطنَ إبهامه اليسرى، وإذا غَضِبَ أعرض وأشاح[١]، وإذا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ[٢] عن مِثْلِ حَبِّ الغَمامِ»[٣].

قال الحسن: فكتمتُها (الحسين بن عليّ)[٤] زماناً ثم حدَّثْتُهُ فوجدتُهُ قد سبقني إليه فسأله عما سألْتُه عنه، ووجدتُه قد سأل أباه عن مَدْخَلِهِ، وَمَخْرَجِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَشَكْلِهِ، فلم يَدَعْ منهُ شيئاً.

قال الحسين: سألتُ أبي عن دخولِ رسول الله ﷺ فقال: «كان دخولُه لنفسه مأذوناً له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جَزَّأَ دخولَهُ ثلاثةَ أجزاء: جُزْءاً للّهِ، وَجُزْءاً لأهْلِهِ، وجزءاً لنفسِهِ، ثم جَزَّأَ جُزْأَه بينه وبين الناس فَرَدَّ ذلك على العامّة والخاصّة لا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً. وكان من سيرته في جزء الأمّة إيثارُ أهلِ الفَضْلِ بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجَتَيْنِ، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغلُ بهم ويُشْغِلُهُمْ فيما يصلحهُمْ والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ وَأبلغوني حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغي حاجَتَهُ، فإنَّهُ من أبلغ سُلطاناً حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغها إياها ثَبَّتَ اللّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ القيامة لا يُذكر عنده إلا ذلك ولا يقبلُ من أحد غيرَهُ يدخلونَ عليه رُوّاداً[٥] ولا يفترقونَ إلاّ عن ذَواقٍ[٦]. وفي رواية ـ ولا يتفرقون إلا عن ذَوْقٍ ـ ويخرجون أدِلّة ـ يعني على الخير» ـ.

قال: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: «كان رسولُ الله ﷺ يخزنُ لسانه إلا بما يعنيه. ويؤلّفهم ولا يُنَفِّرُهُمْ. وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قوم وَيُوَلِّيهِ عليهم. ويحذّر الناس ويحترسُ منهم من غير أن يَطْوِيَ على أحدٍ منهم بِشْرَهُ[٧] ولا خُلُقَه. يتفقّدُ أصحابه، ويسألُ الناس عما في الناس، وَيُحَسِّنُ الحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُقَبِّحُ القبيح وَيُوَهِّيهِ[٨]. معتدل الأمر غير

(١) أشاح: أي بالغ في الإعراض.
(٢) يفترُّ: أي يبتسم.
(٣) حب الغمام: البَرَد.
(٤) في الأصل (الحسن بن علي) والتصويب من «الشمائل» للترمذي (١/ ٢٤) و «دلائل النبوة» للبيهقي برواية القسوي.
(٥) رُوّاداً: أي يدخلون عليه طالبين للعلم.
(٦) عن ذواق: أي عن شيء يذوقونه.
(٧) بشره: بشاشة الوجه.
(٨) يوهّيه: أي يجعله ضعيفاً واهياً بالمنع والزجر عنه.

مختلف لا يغفلُ مخافة أن يغفلوا أو يميلوا[١]، لكلِّ حال عنده عتاد[٢]، ولا يقصُرُ عن الحقِّ ولا يَجُوزُهُ، الذين يلونه من الناس خِيارُهم، أفضلُهُمْ عنده أعمُّهُمْ نصيحةً، وأعظمُهم عنده منزلةً أحسنُهُمْ مواساةً ومؤازرة»[٣].

قال: فسألته عن مجلسه كيف كان؟ فقال: «كانَ رسول الله ﷺ لا يجلسُ ولا يقومُ إلا على ذِكْر، ولا يُوطِن الأماكن وينهى عن إيطانها[٤]. وإذا انتهى إلى قوم جَلَسَ حَيثُ ينتهي به المجلسُ ويأمر بذلك، يعطي كل جُلسائِهِ نَصِيبَهُ، لا يحسب جليسُه أنَّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه[٥] في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسورٍ من القول، قد وسِعَ النَّاسَ منه بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سَوَاءً، مجلسُه مجلسَ حلمٍ وحياءٍ وصبرٍ وأمانةٍ، لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ، ولا تؤبنُ[٦] فيه الحرم، ولا تُنثى فلتاته[٧]، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يُوَقِّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصَّغير، يؤثرون ذا الحاجة ويحفظونَ الغريب».

قال: فسألته عن سيرته في جُلسائه فقال: «كان رسول الله ﷺ دائمَ البِشْرِ، سهلَ الخُلُق، ليِّنَ الجانب، ليس بِفَظٍّ[٨]، ولا غَليظٍ، ولا سخَّابٍ[٩]، ولا فحَّاشٍ، ولا عَيَّابٍ، ولا مَزَّاحٍ، يتغافلُ عما لا يشتهي، ولا يُؤيس منه رَاجِيهُ، ولا يُخَيِّبُ فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراءِ[١٠]، والإكثارِ، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمُّ أحداً ولا يُعَيِّرُهُ، ولا يطلب عَوْرَتَهُ، ولا يتكلَّم إلا فيما يرجو ثوابَهُ؛ إذا تكلَّم أطرقَ جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطَّيرُ، فإذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلَّموا، ولا يتنازعون عنده[١١]، يضحكُ

---

(١) في «الشمائل» يملُّوا وفي بعض النسخ «يميلوا» من الميل: أي يميلوا إلى الدعة والرفاهية.

(٢) عتاد: أي العدَّة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع.

(٣) موازرة: معاونة.

(٤) إيطانها: أي اختصاص كل واحد بمجلس معين في المسجد للخوف من الرياء لا في البيوت حيث سأل النبيّ ﷺ عتبان «أين تحبّ أن أصلي لك؟ فأشرت إلى ناحية».

(٥) قاومه: قام معه «معجم وسيط».

(٦) لا تؤبن: أي لا تعاب.

(٧) لا تنثى فلتاته لا تشاع ولا تذاع زلاته وهفواته، والمراد لا فلتات فيه، فالنفي للفلتات نفسها لا لوصفها من الإذاعة.

(٨) الفظ: سيء الخلق.

(٩) سخّاب: صيّاح.

(١٠) المراء: الجدل.

(١١) لا يتنازعون عنده: أي لا يأخذ بعضهم من بعض الحديث عنده، وتمام العبارة كما في «الشمائل»: =

مما يضحكون منه، ويتعجَّبُ مما يتعجَّبون منه، ويصبر للغريب على الجَفْوة في مَنْطِقِهِ ومسألته حتى إن كان أصحابه (ليستجلبونهم)[1] في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحبَ حاجةٍ فأرْفدوه[2]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافِىءٍ، ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتى يَجُوزَ[3] فَيَقْطَعَهُ بنهي أو قيام»[4].

قال: فسألتهُ كيف كان سكوتُهُ؟ قال: «كان سكوتُهُ على أربعٍ: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكُّر؛ فأما تقديرُه ففي تسويته النظر والاستماع بين النَّاس، وأما تذكُّره ـ أو قال: تفكُّره ـ فيما يبقى ويفنى، وجُمع له ﷺ الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيءٌ ولا يَسْتَفِزُّه، وجُمعَ له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ».

وقد روى هذا الحديث بطوله الترمذي في الشَّمائل عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: **سألت خالي**.. فذكَره، وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب. وقد رواه البيهقيّ في الدلائل عن الحاكم بإسناده عن الحسن قال: **سألتُ خالي هند بن أبي هالة**.. فذكره، كذا ذكر الحافظ ابن كثير في البداية (٦/ ٣٣) قلت: وساق إسناد هذا الحديث الحاكم في المستدرَك (٣/ ٦٤٠) ثم قال... فذكر الحديث بطوله. وأخرجه أيضاً الروياني والطبراني وابن عساكر كما في كنز العمال (٤/ ٣٢) والبغويّ كما في الإصابة (٣/ ٦١١)، وفيما ذكر في الكنز في آخره: **وجمع له الحذر في أربع: أخْذُه بالحسنى لِيُقْتَدَى به، وتَرْكُ القبيح ليَتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلَح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة**. وهكذا ذكره في المجمع (٨/ ٢٧٥) عن الطبراني.

## ٧ ـ الآثار في صفة الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السُّدّي في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[5] قال: **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو شاء الله لقال: ﴿أنتم﴾ فكنا كلُّنا ولكن قال: ﴿كنتم﴾ خاصّة في أصحاب محمد ﷺ ومَن صنع مثل صنيعهم كانوا خَيْرَ أمّةٍ**

---

= «ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم» ومعنى العبارة الأخيرة أي أن النبي كان يستمع لمن حضر أولاً ثم لمن ولِيه وهكذا.

(١) في الأصل (ليستجلبونه) والتصويب من «كنز العمال» (٤/ ٣٣) والمعنى كما قال فضيلة الشيخ «إنعام الحسن» أن الصحابة كانوا يستجلبون الغرباء إلى المجلس الأقدس.

(٢) أرفدوه: أعينوه، وفي الكنز: (٤/ ٣٣): فأرشدوه.

(٣) يجوز: أي يتجاوز عن الحد.

(٤) في الأصل «بانتهاء أو قيام» والصواب ما أثبتناه.

(٥) [٣/ سورة آل عمران/ ١١٠].